مجلة الشهاب ● المجلد: 10، العدد: 02 (2024م) ● ص ص 477 - 502
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

بطرس المبجل وكتاباته ضد الساراكانيين
ـ صورة الإسلام في مصادر الكنيسة الكاثوليكية خلال القرن 12م ـ

Peter's the Venerable Writings against the Saracens
- Islam's Image in the Catholic Church Sources in the 12th century-

إيمان فاضلي *
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (الجزائر)
i.fadeli@univ-emir.dz

تاريخ الاستلام: 2024/02/19	تاريخ القبول: 2024/03/28	تاريخ النشر: 2024/07/15

****

ملخص:

في ظل ظروف القرن 12م العسكرية والدينية والثقافية كتب رئيس دير كلوني بطرس المبجل عن الإسلام ونبيه وكتابه، في توجه يُعتبر جديدا في الدفاعيات المسيحية؛ تمثل في محاولته استسقاء المعلومات عن الآخر المسلم من مصادره المترجمة عن اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية، جاءت محاولته هذه متميزة عن غيرها على عدة أصعدة منها ؛ اعتماده على مصادر جديدة لمعلوماته (مصادر إسلامية أصيلة) ثم توجهه إلى الترجمة، وغرضه توفير مادة علمية تمكّن المسيحيين من معرفة الإسلام، كما تميز بأسلوبه السلمي في مخاطبة المسلمين وكأنه يعظهم على طريقة السيد المسيح، ولكن هذه المميزات الجديدة لأسلوبه الدفاعي لم تُحدث كبير تغيير ؛ فهو وإن عمد إلى ترجمة النصوص التأسيسية للإسلام إلا أنه لم يقرأها إلا كما قرأها أسلافه وكما سيقرؤها خلفاؤه (مشوهة)، بالإضافة إلى أن دعوته لم تلق آذانا صاغية في ظل الظروف الآنية للقرن 12م (الحملات الصليبية) .

الكلمات المفتاحية: الأديرة الكلونية؛ بطرس المبجل؛ المجموعة الطليطلية؛ ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية؛ الساراكانيين.

Abstract:

In the twelfth century era (12 AD) Peter the Venerable conducted a research on Islam and its Prophet Mohamed and The Holy Qur'an, at that time, the Abbey of Cluny was the most important center of knowledge in the whole West, in addition, his Archbishop Peter has a great influence on the Christian world and on the Pope himself in Rome, so his project to discover Islam from its sources by translating its sources was an extraordinary notion that he came out with. This paper aims to clarify this idea of translating Islam's sources to Latin

* المؤلف المراسل.

language, and evaluate it whether in its benefits or in its disadvantages by studying the translations of these books (Qur'an, The life of the Prophet...) and other books as: (letters and Apologies) that be written in the light of these translations and circumstances (Crusades).
Keywords: Cluny's Abbey – Peter the Venerable – The Toledan Collection – The Latin Translation of Qur'an.

1. مقدمة

أُشير إلى العرب في المصادر اليونانية–الرومانية بتعابير عديدة منها: السرقينوا /السرقينيون، الإسماعيليون، الهاجرينوا/الهاجريون، و قد حظي استعمال مصطلح (السرقينيون Saracens) برواج واسع في المصادر التاريخية قبل الإسلام وكذا في العصور الإسلامية في كل من الشرق اليوناني والغرب اللاتيني خلال معظم فترات العصور الوسطى لذا نجد أنه كان متداولا في الكتابات اللاهوتية التي أُلّفت ضد دعوة النبي محمد ﷺ شرقا وغربا وعلى العموم كانت صورة الشرق في العصور الوسطى ممثلة من قبل الكنيسة والأديرة التابعة لها؛ إذ كان رجال الدين هم مصدر العلم والمعرفة والثقافة الدينية والدنيوية خلال تلك الفترة، لذا كانت تلك الصورة دينية محضة مليئة بالعداء والتوجس والخوف على الوجود المسيحي وتميزت خصوصا بالسطحية، يقول الأستاذ رضوان السيد في مقدمة ترجمته لكتاب ريتشارد سوذرن(R.W.Southern: Western Views of Islam in the Middle Ages ,1963)[1]: "الواقع أن الكنيسة نفسها عبر رهبانها وقساوستها انفردت خلال العصور الوسطى التي كانت تسيطر فيها على الأفكار والأقدار بتشكيل الرؤى والصور عن الإسلام والمسلمين ما بين القرنين التاسع والخامس عشر الميلاديين، إن الصورة الأوروبية التقليدية عن الإسلام والتي لا تزال أجزاء أساسية منها تقاوم الزوال هي من صنع رجالات الكنيسة الذين يتخلون عنها في هذا الموقف الجديد للفاتيكان -يقصد قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني 1965- "، وهناك شخصيات علمية حاولت التأريخ لتلك الصور النمطية وخاصة المتعلقة بشخصية النبي ﷺ وسيرته وطبيعة الإسلام وأسرار وجوده في محاولة لمعرفة جذورها الإبستيمولوجية من خلال البحث في النصوص التي تعود إلى فترة العصور الوسطى لدى المسيحيين وهدفهم من هذه الدراسات هو تغيير الرؤى والانطباعات التي تعود للعصور الوسطى لأن الظروف والمصالح بين جميع الأطراف قد تغيرت وأهم هؤلاء الباحثين الدكتور دانيال نورمان في كتابه (Daniel Norman: Islam and the West; the Making of an image, 1966)[2]، والدكتور ريتشارد سوذرن في كتابه المذكور سابقا: (R .W.Southern: Western Views of Islam in the Middle Ages, 1963) .

في كتابه يشير سوذرن إلى أن (المسألة الإسلامية) شكلت خلال العصور الوسطى أرقا دائما لأوروبا الغربية فيقول :" لقد كان الإسلام بالنسبة إلى أوروبا الوسيطة أخطر عوامل الإرهاب والإرهاق على كل

1 سوذرن ريتشارد، صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ترجمة :رضوان السيد، ص12

2 لا توجد ترجمة عربية لهذا الكتاب لكن يمكن ترجمة العنوان: (دانيال نورمان: الاسلام والغرب ؛ صناعة صورة، 1966)

المستويات ؛ في الجانب العملي للمسألة كان على أوروبا أن تبذل جهودا شتى لمواجهة الخطر متأرجحة بين الحملات الصليبية والتبشير والتعايش والتبادل التجاري، أما الإسلام بوصفه قضية ثيولوجية فكان تحديا يتطلب باستمرار إيضاحا لأسرار وجوده "[1] فقد ارتبطت الرغبة في معرفة الإسلام بالتخوف والأحكام المسبقة والرغبة في الإحجام عن الموضوع من أساسه خوف العدوى، يضيف سوذرن :" من الناحية الواقعية أحدث الإسلام موجات غير متناهية من الشعور بعدم الأمان وتوقع الخطر ليس لأنه كان خطرا حقيقيا فقط بل لتشكيله عاملا قويا لا يمكن حسبان أفعاله ولا ردودها " [2].

و بالتالي فقد توصل العلماء المتخصصون في القرون الوسطى إلى أن اللاهوتيين اللاتين خلال القرن 12م أدركوا التفاوت الهائل بين ثقافة الغرب المسيحي المتخلف والإسلام الوسيط المتفوق مما شكل لهم صدمة حضارية هائلة عبّروا عنها في إنتاجاهم اللاهوتي من ردود ودفاعيات، وظهر هذا جليا أيضا من حيث أسلوبهم ومناهجهم وأهدافهم أيضا، كما اتجهوا إلى البحث في تأثير الإسلام وحضارته وإسهاماته في التطورات الفكرية الأوروبية وفي تشكيل معالم النهضة الأوروبية التي أنهت العصور الوسطى المظلمة علهم بذلك يخففون من حدة تلك الصور المتوارثة عن ظلمة تلك العصور وعن شراسة وقهر الإسلام والمسلمين لهم، وأهم تلك الدراسات كانت :

-. Daniel Norman: The Arab and Medieval Europe, 1975[3]

-Montgomery Watt: The Influence of Islam on Medieval Europe, 1972 [4]

ولقد كانت هناك فترات ازدهار علمي خلال تلك العصور تخللتها محاولات لتغيير المناهج وطريقة التعامل مع المسألة الإسلامية قصد تغيير الرؤى والصور النمطية المزرية عن الإسلام ونبيه وهذا ليس حبا أو احتراما له بقدر ما هي استراتيجية جديدة فرضتها الظروف والمتغيرات الجديدة لتكون مواجهته والقضاء عليه سهلة ومُخطط لها، وهنا يُعتبر بطرس المبجل أحد أهم تلك الشخصيات التي كتبت في الدفاع ضد الدعوة الإسلامية ونبيها وكتابها المقدس (القرآن الكريم) خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر ميلادي وفق المناهج الاستشرافية الحديثة، وقد صنفه سوذرن ضمن من سماهم (تيار التعرف على الإسلام من غير طريق الحرب) فرغم أنه لم يختلف عن سابقيه من اللاهوتيين الذين تصدوا لهذه الدعوة في الشرق وكذا في إسبانيا الإسلامية لا من حيث نوعية الردود ولا من حيث مواضيعها، حتى أنه يكرر الكلمات ذاتها، إلا أنه تفوق عليهم من ناحية المنهج المتبع ؛ الذي تميز بنوع من العلمية إذ عمد إلى ترجمة النصوص التأسيسية لهذه الدعوة عله يتعرف عليها عن قرب وبالتالي يحضّر لها الترياق المناسب

1 سوذرن: مرجع سابق، ص37

2 سوذرن :المرجع السابق، ص 39

3 لا توجد ترجمة عربية للكتاب لكن يمكن ترجمة عنوانه (دانيال نورمان :العرب والعصور الوسطى، 1975)

4 لا توجد ترجمة عربية للكتاب لكن يمكن ترجمة العنوان (مونتغومري واط: تأثير الإسلام على العصور الوسطى، 1972)

لاقتلاعها، وهنا كان الإشكال العظيم ذو الشقين، الأول يتعلق بمدى دقة هذه الترجمات وأهمها ترجمة القرآن إلى اللاتينية ؛ فإلى أي حد وُفقت هذه الترجمات في نقل الصورة الحقيقية أو حتى القريبة للإسلام ونبيه ودعوته إلى المتلقي حينها ؟ لأن إخفاق هذه المحاولة يعني بناء صورة مشوهة عن الآخر المسلم قُدّر لها الاستمرار والانتشار لأزيد من خمسة قرون من الزمن إن لم نقل إلى اليوم وهذا ما حدث بالفعل، أما الشق الثاني فكان داخليا متعلق بردود فعل اللاهوتيين في عصره على توجهه هذا، فهل شجعوه على المضي قُدما أم أنهم استصغروا جهوده تلك لكفاح الإسلام فكريا ؟ أم أنهم رأوا أن الوقت غير مناسب لها وحسب ؟ وما كانت مسوغات رئيس دير كلوني لتبرير توجهه هذا ؟، إذا، سنجيب عن هذه الأسئلة وأخرى في هذه المقالة ووفق المنهج الوصفي التحليلي والنقدي، وهي:

- ماذا قدمت الأديرة للعلم والمعرفة خلال القرون الوسطى ؟
- من هو بطرس المبجل رئيس دير كلوني ؟
- ماذا عن مشروع بطرس المبجل تجاه الإسلام ونبيه وكتابه؟
- ماهي النتائج التي يمكن الوصول إليها من خلال هذا التوجه الإستشراقي المبكر ؟
- ما هي الصورة التي رسمها المبجل عن الإسلام ونبيه خلال القرن 12م ؟

2. دور الأديرة العلمي خلال القرون الوسطى

1.2. سيطرة البابوية على العلم والمعرفة:

لا أحد ينكر أن البابوية في روما كانت هي المسيطرة على العالم القروسطي الغربي دينيا ومدنيا وخاصة بعد تبني ملوك الفرنجة للديانة المسيحية (الأسرة الكارولنجية) وخاصة في عهد الإمبراطور شارلمان (ت814م) الذي أعلنه البابا ليون الثالث إمبراطورا على الإمبراطورية الرومانية المقدسة سنة 800م بعد الاتحاد بين البابوية والملك الفرنجي، والذي قام بدوره على رعاية المسيحية ونشرها في أوروبا الغربية بقوة السيف حيث أرغم الكثيرين على التعميد قسرا (مثل قبائل الساكسون في الشمال) وكذا إغداق العطايا على البابوية في روما مما جعل رجال الدين يفتتنون بالدنيا وملذاتها وينحرفون عن النهج المسيحي القويم، وفي ظل هذه الظروف ازدهرت الديرية والرهبانية المسيحية كأفضل طريقة لممارسة المسيحية بشكلها القويم بالعودة إلى القوانين التي وضعها المؤسس الأول للرهبانية الغربية القديس بندكت المبارك صاحب قوانين مونت كازينو (54) الصارمة خلال القرن 6م والمقابل في القيمة والوزن للقديس أنطونيوس أب الرهبانية المسيحية الشرقية في مصر خلال القرن 4م، وبفضل النهضة الكارولنجية التي قادها شارلمان ق9م والالتزام الذي تميز به الرهبان البندكتيون غدت الأديرة ومدارسها حضّانات أنتجت أعظم رجال المسيحية الغربية الذين وصلوا حتى إلى كرسي البابوية، لذا نجد أن دور الأديرة تجاوز كونها مجرد قلّايات للعزلة والتعبد لتكون منارات للعلم والتأليف والنسخ والحفاظ على التراث الأوروبي الغربي المسيحي من

الاندثار؛ اللاهوتي والوثني الروماني، فقد ضمت الأديرة داخل أسوارها مكتبات تزايدت عظمتها مع الوقت، كما ألحقت بها قاعات للنسخ والتأليف، فكان الرهبان الفئة النشطة فعليا والتي تعرف القراءة والكتابة خلال العصور الوسطى لذلك هم من أسسوا المدارس وأشرفوا عليها [1]، كما أنهم تولوا نشر المسيحية في أوروبا الغربية وقضوا على الوثنية بها وجعلوها تدين بالولاء للبابوية في روما، كما حموها من البدع والهرطقات لأنهم تحلوا بالشجاعة لمواجهة أصحاب البدع والهرطقات في عقر دارهم ووصلوا إلى أماكن نائية لم يستطع غيرهم ولم يجرؤ على الوصول إليها قبلهم، ومن أهم هذه الهرطقات التي شكلت خطرا على مسيحية العصور الوسطى اليهودية والإسلام إضافة إلى الهرطقات داخل المسيحية ذاتها مثل السيمونية والنيقولاوسية والألبية وغيرها، لم تسكت الكنيسة عن الإسلام منذ ظهوره في الشرق إلى أن وصل إلى الغرب، فقد توالت النظريات والآراء حول طبيعته وهوية نبيه ومضمون كتابه من الشرق إلى الغرب لإشباع فضول العامة والخاصة والتعرف على هذا المارد الذي استولى على معظم الأراضي المسيحية الشرقية وزحف على الغربية وقضى فعلا على وجودها في المناطق التي دانت له بالولاء في الشرق وشمال إفريقيا وحتى شبه جزيرة إيبيريا، وكان الرهبان خاصة هم المسؤولون عن إنتاج هذه النظريات التي أصبحت لاحقا صورا نمطية مغروسة في لاوعي الإنسان الغربي عن الإسلام ونبيه، وهنا قد يكون من الطبيعي التساؤل: كيف لراهب منعزل حتى عن العالم الذي يعيش فيه أن يكون مصدر علم ومعرفة عن ظاهرة اجتماعية يعيشها العالم الذي اعتزله دون أن يكون له به احتكاك ؟ وكيف يمكن لآرائه أن تكون ذات مصداقية وموثوقية عند المتلقي ؟ .

الإجابة عن هذا التساؤل أشرنا إليها من قبل في أن الرهبان والكهنة في هذه الفترة كانوا هم الفئة المتعلمة الوحيدة في أوروبا الغربية لذا كانوا هم المنتجون للعلم والمعرفة أما كونهم منعزلون فهذا محكوم بالظروف فقد يُكلفون بمهام يغادرون بسببها الأديرة لفترات طويلة، وأما إنتاجهم فله وجهان وكلاهما جهل، أما الوجه الأول فهو أنهم توجهوا إلى الكتاب المقدس كمصدر لأقوالهم وآرائهم حيث قتلوه درسا وتأويلا ولي أعناق نصوصه والنظر في أقوال الرسل والآباء المؤسسين بخصوص الهرطقات والبدع التي ستشهدها الكنيسة في مُقبل الأيام وستكون من علامات نهاية العالم وحلول الملكوت من (النبوءات والرؤى) ثم إسقاط هذه الأقوال على الدعوة الإسلامية ونبيها وهذه تسمى الاتجاهات النشورية لتفسير نشأة الإسلام واعتباره هرطقة مسيحية تابعة للدجال (Antichrist) وقد نشأت هذه التفسيرات في إسبانيا الإسلامية أولا وانتشرت منها إلى أوروبا الغربية شمالا، ولكنها اقتصرت على فترتين زمنيتين من الوجود الإسلامي بإسبانيا وهما القرن 9م والقرن 15م [2]، و هذا واضح من الحوادث التي تعود إلى هاتين الفترتين مثل شهداء قرطبة في القرن التاسع للميلاد إضافة إلى موجات الغضب وعدم الرضا الواضحة في كتابات

1 برتراند راسل :حكمة الغرب، ترجمة فؤاد زكرياء، ج1، ص 214

2 سوذرن: مرجع سابق، ص 55

أسقف طليطلة أويلوغيوس (ت859م) والنبيل باول ألفاروس[1]، وهذه الآراء أيضا انتشرت بفعل الترجمة فهؤلاء كتبوا كما يقول سوذرن تحت وطأة الخوف على الوجود المسيحي فكتبوا بجهل واضح عنه رغم أنهم يعيشون تحت جناحه، ومثله في الشرق الأنبا صفيرينوس خلال القرن 7م وبعده في زمن القديس يوحنا الدمشقي القرن 8م في كتابه (الهرطقات) إذ دعا الإسلام (الهرطقة الإسماعيلية) واعتبرها هرطقة خادمة للمسيح الدجال ومؤذنة بنهاية العالم وحلول الملكوت[2]، وهنا يمكننا القول أن هذه الآراء انتقلت من الشرق إلى الغرب عن طريق الترجمة أو عن طريق الأشخاص أنفسهم خلال رحلات الحج إلى الأماكن المقدسة في الشرق.

أما الوجه الثاني فهو الاطلاع على مصادرهم من خلال ترجمتها، كان مألوفا لدى الرهبان التنقل والسفر إلى بلاد الهرطقات ومحاربتها في عقر دارها وكانوا يجلبون معهم الكتب أيضا لترجمتها ومدارستها في الأديرة، ولكن أن تكون هذه الترجمات ذاتها تحوي الجهل والوهم فهذا الأمر الخطير فعلا، لقد كانت بداية حركة الترجمة في الغرب خلال القرنين 11م و12م نقطة تحول كبرى في تاريخ أوروبا الغربية حسب العالم (هاسكين Haskins)الذي يُعتبر أحسن من كتبوا في الجانب الثقافي للعصر الوسيط [3] حيث أنه خصص الفصل التاسع كله من كتابه سالف الذكر للحديث عن الترجمة من العربية واليونانية إلى اللاتينية التي تمت في المدن الجنوبية الإيطالية، وعلى غراره فعل الأستاذ أحمد عثمان في مؤلفه الضخم (المنجز العربي الإسلامي) حيث خصص الباب السابع من كتابه للتفصيل في مسألة الترجمات من العربية إلى اللاتينية وانتقالها من صقلية إلى طليطلة وأشار الى نوع المؤلفات المترجمة تحت عنوان مميز هو (موسم العطاء العربي والحصاد الأوروبي)[4]، فقد أسقطت الترجمة كل الحدود بين الطوائف الدينية المختلفة في الشرق كما في الغرب حتى أن رجال الدين أنفسهم رعوا هذا التوجه وباركوه رغم اقتصارها على الجانب العلمي والأدبي، وأهمهم الراهب جربرت (999 -1003 م) الذي أصبح يسمى (سلفستير الثاني) بعد تقلده منصب بابا روما، فقد فتح كليتين لتعليم اللغة العربية حتى يكون النقل والترجمة من المصادر مباشرة ؛ واحدة في روما ذاتها والأخرى في الرايمس (Raimas) بفرنسا، لكن ترجماته اقتصرت على الكتب العلمية كما قلنا، أما النقلة النوعية والاتجاه إلى الترجمة الدينية فقد بدأها ودون شك بطرس المبجل الذي كانت زيارته الميدانية إلى إسبانيا في مهمة رسمية ولينظر أحوال المسيحيين هناك سنة 1142م الحافز والدافع إلى هذا النوع من الترجمات وإدخال هذا الإنتاج المترجم إلى أوروبا الغربية .

1 زاكري كارابل :أهل الكتاب التاريخ المتسي لعلاقة الاسلام بالغرب، ترجمة :أحمد أيبش، ص78

2The Fathers of the Church :Saint John of Damascus; Writings (V37)1958,p153-163

3 H .Haskins :the Renaissance of the Twelfth Century ,London, England :Harvard University Press ,1955, p 278

4 أحمد عثمان :المنجز العربي الإسلامي في الترجمة وحوار الثقافات من بغداد الى طليطلة، ص401

لذلك وطوال القرون الوسطى ردد اللاهوتيون المسيحيون ومن بعدهم المستشرقون المقولات ذاتها بخصوص الإسلام يقول لودفيغ هاغمان بعد أن استعرض مجموعة من الأقوال والادعاءات بخصوص الإسلام والتي انتشرت خلال القرون الوسطى :"... من الواضح للعيان أن الخيال الشعبي المتعلق بمحمد ونشوء الإسلام لم يعرف حدودا، وكل هذه الروايات الأسطورية تجري وراء الهدف الجلي وهو تصوير الدين الجديد على أنه غير أصيل وغير عريق بل على أنه صدى لتوجيه مسيحي مطبوع بطابع الهراطقة ووصمه بذلك على أنه تزييف وبذلك يراد تجريد القرآن من ادعائه الحق في أن يُعد من الكتب المنزلة ذات الأصل الإلهي وإضعافه وإبطاله "[1]، أول ما يتبادر إلى الذهن هو كيفية وصول كتابات اللاهوتيين اليونان عن الإسلام إلى الغرب اللاتيني وهذا يعود بنا إلى التأكيد على دور الأديرة والرهبان في نقل وترجمة الكتابات من المناطق النائية إلى الغرب وخاصة ما تعلق بالهرطقات، وقد كانت الترجمات تتم إضافة إلى الأديرة في مراكز خاصة أنشأها الرهبان ورعاها الحكام في صقلية (Sicily) وطليطلة(Toledo) وإشبيلية (Séville) وأهمها في هذه الفترة الكتاب المسمى (ثلاثية الحوليات) للراهب أناستاسيوس المكتبي (Anastasius the Librarian D879,) الذي كان ترجمة لتاريخ (ثيوفانوس المعترف) عن حياة محمد ﷺ ونشأته بين اليهود والنصارى، وقد تطورت هذه التصورات خلال الحروب الصليبية منذ القرن 11م فكانت هذه المصادر الأولى للأقوال والآراء بخصوص الإسلام ونبيه وكتابه والتي لخصها العديد من الكتاب والباحثين في موضوع العصور الوسطى أو في الحوار الإسلامي المسيحي ومن أهم المراجع التي نقترحها للاستزادة في موضوع الصور النمطية في الغرب عن الإسلام ونبيه وكتابه خلال العصور الوسطى إلى غاية عصر التنوير[2].

وقد بقيت هذه الصور والاعتقادات راسخة في الأذهان ورددها حتى المستشرقون في العصر الحديث وهذا ما اعتبره الباحثون اليوم مصادرات في حق الإسلام ونبيه وكتابه، يقول مبروك المنصوري: "يمكن تلخيص مصادرات الاستشراق الاستعماري عن الإسلام في هذه المقدمات ؛ الإسلام ليس دينا والقرآن ليس وحيا ومحمد ليس رسولا، يرتبط ما جاء به محمد بالتراث اليهودي المسيحي الذي يشترك معه جغرافيا وثقافيا ولهذا فمحمد متنبئ استند إلى نصوص مسيحية ويهودية وحورها تحويرا أكسبها أفقا جديدا خالف به الأصل الذي نبعت منه "[3]، كما أنكروا أن يكون للحضارة الإسلامية ولوجودها تأثير في النهضة الأوروبية الغربية يضيف الدكتور المنصوري : " .. وقد قامت النهضة الغربية على أساس القفز على الحقبة العربية الإسلامية وإلغائها فكريا وتاريخيا والعودة إلى الأصول الفكرية الإغريقية والرومانية والأصول الدينية اليهودية المسيحية "[4].

1 لودفيغ هاغمان: مسيحية ضد الاسلام حوار انتهى الى الاخفاق، ترجمة :محمد جديد، ص 48

2 Tolan John :Sons of Ishmael: Muslims through European Eyes in the Middle Ages, 2008 and: Quinn Frederick: The Sum of all Heresies ; the Image of Islam in Western thought, 2008 .

3 مبروك المنصوري: صناعة الآخر المسلم في الفكر الإستشراقي، 2014، ص 70

4 المنصوري: المرجع السابق، ص 72

2.2. **دير كلوني:** مثّل دير كلوني أحد المعاقل العملاقة للاستشراق الفرنسي والغربي كله ؛ تأسس الدير في منطقة برغانديا جنوب فرنسا، على يد دوق أكويتين وليام التقي سنة 910م حيث كان في الأصل مصيفا للدوق وقد تبرع به للكنيسة وأكمل بناءه على نفقته، قامت في الدير حركة إصلاحية عظيمة لنظام الرهبنة البندكتية إذ أضافوا إلى قواعد القديس بندكت الأول قوانين جديدة كان أهمها استقلال الدير عن الأساقفة المحليين وكذا عن السلطة المدنية وخضوعه مباشرة للبابوية في روما، أما القانون الجديد والمميز فهو ارتباط جميع الأديرة بالدير الأم في كلوني، وقد ساهمت هذه القوانين في ازدهار النظام الكلوني وشهرته حتى ضم تحت جناحه آلاف الأديرة في أوروبا الغربية حيث وصلت سلطته إلى إنجلترا مع الغزو النورماني لها سنة 1066م على يد وليام الفاتح دوق نورماندیا شمال فرنسا، وقد كانت كلها تحت رعاية الدير الأم في كلوني وخاضعة مباشرة للبابا في روما [1]، اعتنى رهبان كلوني بالمعرفة والأعمال اليدوية والزراعة إذ من أهم قوانينهم العمل لكسب القوت فتمت بفضل جهودهم استصلاح آلاف الهكتارات من الأراضي حتى التي كانت غابات أو بورا، كما أنه من بين رجال كلوني كان يُختار الباباوات والكرادلة ومستشاري الملوك والأباطرة، هذا بالإضافة إلى أن رهبان كلوني هم المشجعون الأوائل على الحرب ضد المسلمين والتي وصفوها بالمقدسة والتي ارتبطت بتنظيم رحلات الحج إلى الأراضي المقدسة في الغرب وكذا في الشرق ومن أشهر رجالاته (أودو 942/896م، البابا جريجوري السابع 1025/؟ صاحب عبارة جيش المسيح) وبواسطة هؤلاء ازدهر دير كلوني وأصبح ذو مركز مرموق في الحفاظ على المسيحية والدفاع عنها ضد الأخطار المحدقة بها، كما أصبحت أديرة كلوني من أغنى الأديرة البندكتية بسبب علاقتها بالإقطاع إذ كانت لا تدفع الضرائب ولا تتبع الأساقفة المحليين وكانت لها أراضيها التي استصلحتها مما جعلها من اكبر ملاك الأراضي في أوروبا وهذا جعل الفساد والانحلال يدب في النظام من جديد وخاصة بسبب خضوع ذلك العدد الكبير من الأديرة لرئيس واحد مما جعل صلاحه يعني صلاحها والعكس، فتوالت على الدير سلسلة من الرؤساء الفاسدين لتظهر حركات الإصلاح الداخلية من جديد متمثلة في رهبان **الكارتيزيان** [2]، وأما رهبان **السيسترشيان** [3]، ثم **البرناردين** وهم المرحلة الثانية والمتطرفة من رهبنة السيسترشيان ينسب النظام إلى برنارد 1091 /1153م الذي أصبح رئيس دير كلارفو [4]، ثم أصبح بطرس المبجل رئيس دير كلوني التاسع سنة 1122م أين بلغ به أوج اتساعه فأكسبه السمعة الحسنة في كامل أوروبا الغربية، وأصبح أحد

1 مليكة بن رية :رهبان واديرة اوروبا الغربية من القرن 4م الى نهاية العصور الوسطى، قسم التاريخ، 2012-2013، ص84

2 **الكارتيزيان**: نسبة إلى صحراء Cartusia جنوب إيطاليا أين أسس برونو ديرا سنة 1084م ونهج منهجا جديدا في الرهبنة البندكتية بحيث عاد إلى الزهد والتقشف ونبذ البذخ، ومن أبرز طلابه البابا أوربانوس الثاني مشعل فتيل الحروب الصليبية سنة 1095م.

3 **السيسترشيان**: أسسه روبرت سنة 1098م يضم أربعة أديرة رئيسية الدير الأم في Cîteaux سايتو وبوانتنيه pontigny وكلارفو Clairvaux وموريموند Morimond، وهو على غرار الكارتيزيان يمزج بين العمل والعبادة والزهد والرفض التام للتملك كانوا يربون الأغنام ويزرعون الكروم حتى أصبحوا من أعظم الملاك لمزارع العنب فتزايدت ثرواتهم ودب فيهم الفساد من جديد

4 محمود سعيد عمران: حضارة اوروبا في العصور الوسطى، ص 104-105

المزارات المقدسة المسيحية، وهذا زاد من إيراداته المالية أيضا، فقد كانت الأديرة الكلونية من أكثر المؤسسات ثراء وتملكا للأراضي والثروات رغم أن هذا محرم في قوانينها التأسيسية وكان هذا من أسباب تدميرها لاحقا باعتبارها أكبر الإقطاعيين في أوروبا وخاصة في فرنسا، إذ أمرت السلطة الفرنسية سنة 1790م (فترة الثورة الفرنسية) بغلق دير كلوني وتشتيت مكتبته حتى كاد يتداعى نهائيا، ثم بيعت كنيسته الرئيسة في المزاد العلني واستمر الدير في الانهيار طوال المدة بين 1798 -1824م إلى أن استصدر مسؤول مقاطعة كلوني قرارا حكوميا بتدمير الدير نهائيا وقد وصفه المؤرخون الأوروبيون ب(العار على البشرية) لفعلته هذه .

إذا، كان للأديرة الكلونية دور كبير في التعليم والتبشير بالمسيحية والرد على الهرطقات التي هددتها، كما كان لها دورها الفعال في إذكاء الصراع المسيحي الإسلامي على المستوى العسكري (حروب الاسترجاع) والفكري (الردود الدفاعية)، فقد كانت أديرتها نقاط الانطلاق والمنظمة والممولة لرحلات الحج نحو القدس والأراضي المقدسة الأخرى (روما، إسبانيا، القسطنطينية والقدس) وكذا إلى أضرحة القديسين وذخائرهم في الأديرة، ثم تطور التوجه الفكري للأديرة لتتبنى الفكر العسكري لاسترجاع هذه الأراضي، كما كانت تنظيماتها من أكثر الحركات نشاطا ضد التواجد الإسلامي بإسبانيا والتي بدأت منها حروب الاسترجاع، و قد تغيرت توجهاتها العسكرية نوعا ما في فترات متقطعة منها فترة حكم بطرس المبجل –وهذا هو موضوع بحثنا- إلا أن الطابع العدائي ضد الإسلام كان أحد أهم مميزاتها[1] على العموم .

3. بطرس المبجل وكتاباته ضد الساراكانيين[2]:

1.3. ترجمة بطرس المبجل (1092 -1156م) (Peter the Venerable):

ضمه العقيقي في موسوعته[3] إلى طلائع المستشرقين الفرنسيين، واعتبره لودفيغ هاغمان مفتتح الدراسات الإسلامية الغربية [4]، أما عبد الرحمان بدوي في موسوعته[5] فقد أورد معلومات جزيلة عنه رغم أنه لم يهتم بكتاباته اللاهوتية كثيرا ؛ وُلد بطرس في إقليم مونت بوازيه (Montboissier) من مقاطعة أوفرن الفرنسية (Auvergne)، من عائلة نبيلة برغاندية وجهته منذ نعومة أظافره إلى حياة الرهبنة في دير سوكسيلانج (Sauxillanges) وهو دير كلونيٌّ، قُبل في سلك الرهبنة على يد القديس هيو(Hugh) سنة 1109م والتحق بدير فيزالي (Vézelay) الذي أقام به 10سنوات، أصبح سنة 1120م رئيس دير دومين

1 نورمان كانتور :التاريخ الوسيط، ترجمة :قاسم عبده قاسم، ج1، 303-308

2 **الساراكانيين:** هرطقة الساراكانيين أو الساراسانيين (Saracens Heresy)، و قد اختلف في مصدر وتفسير هذه الكلمة حسب التقليد اليوناني والروماني ثم التقليد الكتابي المسيحي، وفي كتابه وطوال الفصل (9) جمع (عرفان شهيد) كل الآراء في هذا الموضوع وشرحها بدقة (عرفان شهيد، 2008روما والعرب، صفحة 205)

3 نجيب العقيقي: المستشرقون، ج1، ص122

4 لودفيغ عاغمان: مرجع سابق، ص 61

5 عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين، ص110

(Domene) وفي سنة 1122م وهو في سن الثلاثين من عمره عُين رئيسا لدير كلوني الأم في فرنسا، ازدهر الدير تحت رئاسته فقد فتح أبوابه لتلقي المعارف الجديدة التي شهدها القرن 12م فيما يسمى بنهضة القرن 12م، مخالفا سلفه الذين كانوا يكتفون بالعلوم اللاهوتية، كما ضم إليه المزيد من الأديرة وبالتالي ضمن المزيد من الموارد المالية بفضل علاقاته بالحكام والأمراء والنبلاء، فقد كان شخصية دبلوماسية فذة ويتميز بموهبة جدلية رائعة في الكتابة وكذا في الخطابة، كما أنه رجل السلام الأول في أوروبا في تلك الفترة إذ كانوا يلجِئون إليه لحل الخلافات السياسية بين الملوك وحتى بين رجال الدين، وقد كان هذا من أسباب رحلته إلى إسبانيا نهاية سنة 1141م وبداية سنة 1142م ؛ وبدعوة من ملك قشتالة (Castille) ألفونسو السابع لفك النزاع الذي نشب بينه وبين جاره ملك أراغون، وقد نال عطايا ثمينة لدير كلوني من الملك ألفونسو، وكذا لينظر أحوال الأديرة الكلونية والرعايا الكاثوليك هناك لأنه من مهام رئيس الدير الأم القيام برحلات لتفقد الأديرة التابعة له والإشراف عليها، وكان أهم حدث رافق أو نتج عن هذه الرحلة هو اتخاذ قراره بدراسة الإسلام ومن مصادره بترجمتها إلى اللاتينية يقول Kritzeck :(هذه الرحلة تُسجَّل كلحظة تاريخية مميزة في التاريخ الفكري لأوروبا والتي خلالها قام بطرس بالتخطيط وتمويل مشروعه لدراسة الإسلام كليا ومن مصادره الأصلية)

(This journey marks as a momentous event in the intellectual history of Europe for in its course Peter conceived, planned and sponsored his project to study comprehensively and from original sources the religion of Islam)[1].

نال بطرس التقدير والاحترام من داخل النظام الرهباني وحتى العلماني، حتى أن الإمبراطور فريدريك الثاني باربروسا (Frederick Barbarossa) والذي حكم الإمبراطورية الرومانية المقدسة منذ 1155م، منحه لقب (المبجل Venerable) مباشرة بعد موته بتاريخ 25 ديسمبر من سنة 1156م، وقد دُفن في كنيسة دير كلوني حسب ما ذكرت موسوعة آباء الكنيسة [2].

2.3. مدرسة طليطلة للمترجمين(The Translators' School of Toledo):

كانت طليطلة عاصمة القوط الغربيين منذ سنة 554م إذ اعتنقوا المذهب الكاثوليكي ودخلوا تحت سلطة الإمبراطورية الرومانية المقدسة خلال حكم ريكاردو سنة 587م وظلت كاثوليكية المذهب إلى غاية فتحها على يد المسلمون بقيادة طارق بن زياد سنة 712م، الذي دخل كاتيدرائية طليطلة العظيمة وأخذ منها الغنائم والكنوز القوطية المشهورة، وقد استمرت تحت الحكم الإسلامي إلى أن بدأت حروب الاسترجاع الإسبانية (ريكونكويستا Reconquista) فكانت من أولى المدن المسترجعة إلى الحظيرة المسيحية في عهد

1 Kritzeck .J :Peter the Venerable and Islam, New jersey –USA, Princeton University Press ,1964, p14

2 The Fathers of the Church: Peter the Venerable ; Writings against the Saracens ,V37, the Catholic University of America Press, 2016, p 9

الملك القشتالي ألفونسو السادس سنة (1085م)، ثم عينها البابا أوربانوس الثاني أسقفية رئيسية لإسبانيا سنة1088م، ظلت طليطلة من أهم المدن الأيبيرية فقد حافظت على طابعها الكوزمولوجي الذي ضم داخله العديد من الطوائف الدينية والأجناس البشرية دون أن يتدخل الحكام سواء المسلمون أو المسيحيون بعدهم في تغيير هذا الطابع المميز لها، من أهم ما يميزها أيضا (مكتب المترجمين) الذي كان من أهم المراكز الفكرية والعلمية في المنطقة، فقد توفرت في طليطلة العديد من العوامل التي لم تتوفر في غيرها من المدن الإيبيرية ومنها وجود أقلية معتبرة من اليهود وهؤلاء كانوا يعرفون اللغة العربية واللغات المحلية فكانوا بمثابة حلقة الوصل بين المسلمين والمسيحيين بالإضافة إلى توفرها على مكتبة ضخمة انتعشت أكثر لما أضيفت لها مكتبة قرطبة بعد تخريبها من قبل الموحدين وغيرها من العوامل التي ذكرها الأستاذ أحمد عثمان [1]، لذا كانت طليطلة قناة تسربت منها الثقافة العربية الإسلامية إلى أوروبا الغربية خلال العصور الوسطى، إذ كان الهدف الأول من إنشاء مكتب المترجمين هو ترجمة التراث العربي العلمي إلى اللغة اللاتينية التي كانت قد بدأت تنتعش خلال تلك الفترة' [2] حيث أُنشأه الملك القشتالي ألفونسو السادس (1126 -1157م) بالتعاون مع أسقف طليطلة الراهب المحب للعلوم رايموندو الذي تولى الأسقفية بين سنتي (1125 -1152م) ؛ وكان من طلاب دير (سانتا ماريا) في ريبول .

كانت الترجمة تتم على المؤلفات العلمية في الفلك والرياضيات والهندسة والفلسفة وعلم المنطق والكيمياء والعقاقير وغيرها ولكن لم يتوجه أحد إلى الترجمة الدينية قبل المبجل حيث بزغت الفكرة في ذهنه خلال تواجده في إسبانيا بين سنتي 1142-1143م فاتجه فورا إلى تنفيذها بأن اختار أهم المترجمين من المدرسة وحدد لهم الكتب التي يريد ترجمتها وفعلا بدأ العمل على مشروعه الضخم للتعريف بالإسلام ولم يعد إلى كلوني إلا والترجمات مُعدة وجاهزة لنقلها إلى أوروبا الغربية نهاية سنة 1143م، لم تكن مدرسة طليطلة هي الوحيدة التي تترجم التراث العربي إلى اللاتينية وإنما كانت هناك مراكز أخرى لنقل هذا التراث في إشبيلية وكذا في صقلية التي تم استرجاعها إلى الحظيرة المسيحية على يد النورمانديين خلال سنوات (1060- 1090م) والتي أنشئت فيها مدرسة سالرنو للعلوم الطبية على يد قسطنطين الإفريقي، لكن هذه التراجم كانت تتم بوسطاء لغويين كما نقل المستشرق يوهان فوك يقول :" وقد اكتفى الدارسون بوسطاء لغويين كمسيحيين شرقيين أو مسيحيين محليين اعتنقوا الدين الإسلامي، كانوا يقدمون مضمون المعنى فقط، وحيث أن هؤلاء الرجال لم يكونوا من الضليعين في اللاتينية فقد توجب نقل مضمون ترجمتهم إلى الرومانية المحلية أولا ومن ثم إلى اللاتينية الفصحى قبل أن يصار إلى الترجمة النهائية " [3]، نلاحظ أن مراحل الترجمة كانت طويلة وذات طبقات يفقد فيها النص الأصلي جزءا من معناه في كل طبقة لأنهم كانوا

1 أحمد عثمان: مرجع سابق، ص 434-437

2 محمود عمران: مرجع سابق، ص 219-221

3 يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق، ترجمة: عمر لطفي العالم، ص16

يترجمون بالمعنى وهذا ما فعله الكيتوني في ترجمته للقرآن الكريم، كما نلاحظ أن يوهان فوك لم يشر إلى دور اليهود الفعال في عمليات الترجمة كوسطاء لغويين أيضا .

مشروعه الإستشراقي ضد الهرطقة الساراكانية:

يضم المشروع التعريفي بالإسلام ونبيه وقانونه (كتابه) العديد من المؤلفات ولا يقتصر على مؤلفات المبجل بل يُضاف إليها الترجمات التي أمر بها وأهمها ترجمة القرآن الكريم وكذا كتابات المترجمين أنفسهم في الموضوع وتعليقاتهم على الترجمات، تعود أقدم الكتابات إلى سنة 1142م وأحدثها إلى سنة وفاة المبجل 1156م، وهي:

- **المجموعة الطليطلية أو الكلونية (The Toledan Collection)**: وهذه تضم (4) ترجمات مع التعليقات عليها ؛ رسالة (مختصر كل الهرطقات والهرطقة الشيطانية للساراكانيين The Sum of all Heresies and the Diabolical Sect of the Saracens)، وهذه أرسلها بطرس المبجل لبرنارد رئيس دير كلارفو ليعلق عليها ويكتب على أساسها (تفنيدا ضد الهرطقة الساراكانية) لكن هذا الأخير لم يرد عليه فكتبه المبجل بنفسه، في هذا المختصر الذي يعود تأليفه إلى سنة 1142م بدير كلوني يطلع بطرس المبجل القارئ المسيحي بهوية وأفعال مؤسس الهرطقة الساراكانية مشيرا فيها إلى الكم الهائل من التراجم بسيرة النبي محمد والتي مصدرها –كما قلنا سابقا- تاريخ أناستاسيوس إلا أن الباحثين كشفوا أن لا علاقة بين أقوال الرجلين لذا عادوا بها إلى اليهودي المتنصر بيدرو ألفونسي (Peter Alfonsi)، يبدو أن (المختصر The Sum) و(الرسالة إلى برنارد من كلارفو) لهما علاقة ببعضهما فقد تكون الثانية تنقيحا للأولى [1] .

والمؤلف الثاني بعنوان (قصص وأساطير الساراكانيين The Tales of the Saracens) كتبها كل من روبرت الكيتوني (Robert of Ketton) وصديقه هيرمان الدلماشي (Harmannus of Dalmatia) وهي بالترتيب (Prologue + The Mistake Laden and Ridiculous Chronicle of the Saracens) كتبها روبرت الكيتوني سنة 1142م في إسبانيا حيث بيّن روبرت في (المقدمة) أنه تلقى دعوة من المبجل لإماطة اللثام عن حياة النبي محمد ودعوته إلى ترجمة بعض المؤلفات وأهمها القرآن وأشار إلى أن القصص المنتشرة عن محمد وحياته سخيفة لكنها خطيرة لذا يجب توضيح الأمور كي لا يقع القارئ في فخها وينخدع بها، ثم ألحق هذه المقدمة بكتابه (التاريخ السخيف والثقيل للساراكانيين) تناول فيه قصة الإسلام من نشأته إلى معركة كربلاء، وصف فيه النبي بأنه ابن الشيطان البكر، وأنه استولى على الأراضي والممتلكات بالقوة وبأنه أعلن نفسه نبيا وملكا ودعا الملوك لأتباعه ثم ختمها بقصة وفاته وحديثه عن خلفائه [2].

1 Cesare .M.D :The Pseudo-Historical Image of the Prophet Muhammad in Medieval Latin Literature, Walter de Grayer ,2012, p84

2 Ibid., p89-92

أما هيرمان الدلماشي فله كتابان كتبهما سنة 1142 في إسبانيا، يتناول الكتاب الأول (نسب محمد وتنشئته The Book of Muhammad 's genealogy and his Nurturing) ثلاثة قصص مختلفة عنه ؛ الأولى تروي كيف أن كعب الأحبار تعرف عليه وأدرك أنه النبي المنتظر الذي تكلمت عنه الكتب فأسلم وهنا أورد سلسلة نسبه (عليه السلام)، والثانية تحكي قصة (نور محمد) الذي انتقل من سيدنا آدم إلى عبد الله وآمنة والدا النبي الكريم، وأما الثالثة فتحدثت عن نشأته في البادية وحوادث طفولته وأهمها حادثة (شق الصدر) في أسلوب قصصي خلاب انتشر في الغرب انتشارا واسعا [1].

والكتاب الثاني لهيرمان الدلماشي هو (عقيدة محمد The Doctrine of Muhammad) ويحكي قصة مجيء الملاك جبريل إلى النبي ﷺ ليخبره أن جماعة من اليهود ستأتي لتختبر صدق نبوته وعلى رأسهم عبد الله بن سلّام الذي أسلم بعد هذه المحادثة [2].

والمؤلف الثالث من المجموعة الطليطلية هو ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية والتي قام بها روبرت الكيتوني تحت عنوان (قانون الساراكانيين The Law of the Saracens) أو(قانون النبي المنتحل محمد The Law of the Pseudo-Prophet Muhammad)التي تمت سنة 1143م، وهي أهم كتب المجموعة على الإطلاق، وهي أول ترجمة لاتينية للقرآن كاملا في الغرب، وقد أكد الكيتوني في المقدمة التي أشرنا إليها سابقا أن ترجمة قانون المسلمين من الأهمية بما كان حيث أنه يتشرف بإنجاز هذه الترجمة وتوفيرها للمبجل من أجل محاربة هؤلاء الساراكانيين وهزيمتهم، كما أشار إلى الصعوبات التي واجهته خلال ترجمته للقرآن مثل صعوبة ترجمة الكلمات التي لم يجد لها مقابلات في اللاتينية وهو لم يقصد إلى تجميلها بقدر المحافظة على المعاني وعدم المساس بها، لذا فترجمته جاءت كإعادة صياغة للجمل والمعاني أي ترجمة للمضمون، كما حاول عدم التدخل في الجانب اللاهوتي للقرآن ونقله كما وجده [3]و قد تناول العديد من الباحثين هذه الترجمة بالدرس والتحليل ومنهم مثلا (Bruce Lawrence) في كتابه (The Qur'an: A Biography) أين أشار إلى علاقة إمكانيات المترجم ومؤهلاته بصعوبات الترجمة الدينية التي لم يألفها الكيتوني وقد ذكر بعضها ؛ سواء التي ذكرها هو في مقدمة ترجمته أو التي كشفها العلماء لاحقا، كما أشاد بدور هذه الترجمة وإسهامها في إزالة الجهل وتوفير مصدر أساسي عن الهرطقة الساراكانية وصاحبها وعقائدها في تلك الفترة الفقيرة للمعلومات وإن كانت تحوي أخطاء فادحة، ومما أشار إليه من الصعوبات[4]:

* اختلاف الترجمة الدينية عن الترجمة العادية التي ألفها الكيتوني وصديقه هيرمان.

1 Ibid., p 99

2 Ibid, p 116

3 Ibid., p119

4 Lawrence Bruce: The Qur'an ,2006, p74-79

* صعوبات هذه الترجمة على المخيلة ؛ إذ أن القرآن كتاب يعبر عن البيئة والمجتمع الذي نزل فيهما والزمن الذي كان يفرق (5) قرون عن زمن الترجمة، والكيتوني لم يختبر هذه البيئة ولم يعرفها لذا كان من الصعب عليه أن يتخيل المواضيع التي تحدث عنها القرآن الكريم لكي يترجمها .

* في البداية حاول أن يترجم القرآن حرفيا لكنه عاد عن الأمر وقرر استخدام تفاسير (أهمها الطبري) ليترجم المعاني التي فهمها المسلمون من النصوص .

و قد أشار (هايغمان) إلى الأخطاء والنقائص التي تحويها ترجمة المبجل أيضا كما قسمها إلى أنواع ؛ الشكلية والضمنية، القراءة الخاطئة والمبالغات المغرضة [1] :

* المداخلات أو التدخلات الشكلية: هذه كثيرة وأهمها انه رتب السور ترتيبا جديدا حسب رأيه وفهمه، سمى سورة الفاتحة (أم الكتاب) واعتبره ا دعاء تمهيدي للقرآن كما لم يدخلها ضمن الإحصاء، وقسم السور إلى فصول قصيرة حتى يستطيع ترجمتها ليصل عدد السور في الترجمة إلى 123 سورة بدل 114سورة في النسخة العربية .

* أما من ناحية المضمون وهنا الكارثة، فقد كان يعيد صياغة النص الطويل في عبارات قصيرة غير آبه بالألفاظ ومعانيها فقد كان همه أن ينتج نصا مفهوما للقرآن، فكان يضيف أو يحذف ما يراه مناسبا في رأيه ومثال ذلك ترجمة كلمة (مسلم) إلى الفعل (يعتقد أو يؤمن) لأنه لا يعرف المعنى الدقيق للكلمة في التقليد الإسلامي .

* القراءة الخاطئة ثم الترجمة الخاطئة مثالها الآية الخاصة بالسيد المسيح في سورة (مريم) " وجيها في الدنيا والآخرة " = أي وجه العالم والدنيا (face) ليتخذها المجادلون لاحقا دليلا وسندا للقول بأن القرآن يصف المسيح بأنه (وجه كل الشعوب) وبالتالي يشهد بعالمية رسالته .

فكيف لنص كهذا وحيد في زمانه ومصدر باللغة الرسمية للعلم حينها (اللاتينية) متوفر للقراء العاديين وغير العاديين أن لا يرسم صورا نمطية بذيئة عن الإسلام وأن لا يُفسد العقول تجاه نبيه –لأنه يعتبر ومازال يعتقد أنه منشئ القرآن ومبتدعه –، وقد ظلت هذه الترجمة هي المعتمدة في أوروبا الغربية طوال (5) قرون إلى أن طُبعت ترجمة لودفيغو مراتشي (Lodovico Marracci) سنة 1698م .

ونجد أمثلة أخرى في كتاب (بروس: القرآن Lawrence Bruce: the Qur'an) عن اتخاذ روبرت الكيتوني هواه ورغبته مقياسا للترجمة خاصة في قصار السور ؛ مثل سورة الكوثر = تعني الكثرة والوفرة = Abundance of good، لكن في مراجعته للترجمة وبعد أن اطلع على تفسير الطبري علم أن معناها (نهر في الجنة) أهداه الله عز وجل إلى النبي الكريم (ليلة الإسراء والمعراج) حسب حديث جبريل، لذا نجده عدّل

1 هايغمان :مرجع سابق، ص 66-68

التسمية إلى (A Fountain in Paradise) وجاءت ترجمته للسورة ككل في الكتاب السابق [1]: (بسم الله الرحمان الرحيم، من المؤكد اننا اعددنا لك نافورة في الجنة، إذا صل وادع ربك وضحي، من اجل ان أعداءك سيعانون من قلة المساعدين والذرية) .

« In the Name of God, full of compassion ,ever compassionate ; Surely we have prepared for you a fountain in Paradise, So pray to your Lord and sacrifice, For your enemy will surely lack helpers and progeny "(108:1 -3)

أما المؤلف الرابع من المجموعة فهو ترجمة لرسالة الدفاع الخاصة بالكندي (ق9م) وهذه قام بها كل من بطرس الطليطلي وبطرس الذي من بواتييه تحت عنوان (The Letter of the Saracen and the Response of the Christian رسالة من مسلم ورد مسيحي عليها)، وهي في الأصل رسالة ورد عليها ؛ المرسِل هو المسلم عبد الله بن إسماعيل الهاشمي يدعو عبد المسيح بن إسحاق الكندي إلى الإسلام ورد هذا الأخير عليه فيما عُرف في التاريخ (رسالة الدفاع للكندي (Al-Kindi 's Apology)، وقد ترجمها الرجلان من العربية إلى اللاتينية ؛ بطرس الطليطلي كان يعرف العربية وبطرس الذي من بواتييه يتقن اللاتينية فكان الأول يترجم من العربية إلى اللاتينية والثاني يعمل على اختيار المفردات اللاتينية الجيدة وتنسيقها في الترجمة، وقدما لها بمقدمة وختماها بخاتمة مع زيادات معتبرة عن الأصل العربي من حيث الحدة في النبرة الواضحة للقارئ والتي لم تكن في المؤلف الأصلي [2] .

- **الكتابات ضد الساراكانيين (The Writings Against the Saracens) ورؤى المبجل عنهم:**

وهذه تضم كتابات المبجل شخصيا ورسائله والرسائل التي تلقاها بخصوص مشروعه للتعريف بالإسلام وهي:

رسالته إلى برنارد من كلارفو[*3] بخصوص الترجمة (Letter to Bernard of Clairvaux on his Translation)، شرح له فيها أهدافه من الترجمة ومن المشروع ككل داعيا إياه إلى مساعدته بعلمه ومكانته وكذا بقلمه لكتابة تفنيد للهرطقة الساراكانية، محاولا إقناعه أن طريقته هذه مجدية أيضا في الدفاع والذود عن القعيدة المسيحية كالطريقة العسكرية تماما، لكن المبجل لم يتلق أي رد من برنارد لا

1 Lawrence Bruce: the Qur'an,2006, p76

2 Cesare: p120-121

[3] **برنارد 1091 /1153م:** كان شخصية مؤثرة في أوروبا أثناء الحروب الصليبية ورمزا لها في عهد الإصلاح الديني كان خصما لدودا لبطرس المبجل من الناحية الفكرية حيث أراد أن ينافس دير كلوني وتصبح القيادة دير كلارفو على العالم المسيحي الكاثوليكي، كان رافضا لكل الإصلاحات والتجديدات التي قام بها المبجل وآخرها المشروع التعريفي بالإسلام ونبيه وكتابه، شجع على الحروب الصليبية ضد المسلمين كان مقربا دائما من الحكام والباباوات حيث كان مستشارا ل(5) باباوات، ساهم أيضا في إنشاء الرهبانيات العسكرية مثل رهبنة فرسان المعبد Templars سنة 1128م الذين كانت مهمتهم الأساسية حماية الحجاج ومرافقتهم إلى الأراضي المقدسة ثم تحولت إلى القتال لاسترجاع الأراضي المسيحية .

بالموافقة ولا بالرفض مما يرجح كفة الرفض، تعود الرسالة إلى سنة 1144 م بعد عودته من رحلته إلى إسبانيا [1] .

وكتاب (موجز الهرطقة الساراكانية A Summary of the Entire Heresy of the Saracens) يتكون من (18) اعتراض على الهرطقة الساراكانية وفيها يشرح المبجل نظرته واعتراضاته على الإسلام ونبيه وكتابه مستعينا بالكتابات من المجموعة الطليطلية، وأهمها –حسب رأيه- إنكار الثالوث المقدس رغم أن القرآن كثيرا ما يذكر الإله بصيغة الجمع وهذه أخذها من كتاب (الدفاع للكندي) إضافة إلى الاعتراضات التالية :

* إنكار الثالوث القدوس وأن الجوهر الإلهي يتكون من ثلاثة أقانيم إنكارا تاما وهذا ما أكده كايتون في ترجمته للقرآن الكريم .

* إنكار أن يكون الله عز وجل – له ولد أي كونه والدا للمسيح - رغم إيمانهم بميلاده العجائبي، فالمسيح ليس إلها ولا ابنا للإله- سبحانه وتعالى علوا كبيرا - .

* يجب أن يتعرف كل شخص مسيحي على محمد وتعاليمه ليعلموا كم هي غير لائقة حياته ولا تعاليمه فمحمد ليس نيقولاوس كما هو منتشر ولا غيره بل هو كما يذكر أناستاسيوس في حولياته ؛ شخص عاش زمن الإمبراطور الشرقي هيراقليوس (هرقل)، ينتمي إلى الأمة العربية من نسب مغمور، كان عابدا للأصنام كقومه، غير متعلم بل أمي، عمل في التجارة حتى أصبح من الأغنياء والمعروفين، توجه إلى حياة السطو والإغارة على القبائل المجاورة حتى نشر الخوف في كامل الجزيرة وهنا طمع في المُلك على العرب جميعا .

* ثم جاءته فكرة إخفاء نسبه الوضيع بادعاء النبوة لينال المُلك الذي يرنو إليه لا عن طريق النسب بل عن طريق الاختيار الإلهي، ولأن قومه كانوا أمة جاهلية فقد سهل عليه خداعهم بادعاء التقوى والصلاح –الذي يتميز به الأنبياء – .

* و لأن الشيطان يرعى ويحمي كل الطرق الضالة فقد أرسل إلى محمد الراهب النسطوري (سيرجيوس) الذي علمه كل ما لا يعلم عن الكتاب المقدس والأنبياء بالإضافة إلى اللاهوت النسطوري المنكر لألوهية السيد المسيح فجعل منه نسطوريا فذا .

* ثم إنه أخذ علما عن اليهود أيضا، وبالجمع بين ما علّمه الطرفان ابتدع كتابه (القرآن) وادعى أن الملاك جبريل يأتيه به من الله، وقد صدقه أهله واتبعوه إلى حتفهم.

* في كتابه –كما يقول المبجل – اعترف محمد بالأنبياء موسى والمسيح لكنه أنكر أن يكون المسيح ابن الله رغم إيمانه أنه وُلد بمعجزة من العذراء مريم، كما رفض العقائد المسيحية المؤلهة له عليه السلام،

1 The Fathers of the Church: , 1958, pp. 27 -33

فالله واحد أحد لم يلد ولم يولد، وهو لا ينكر البعث ولا اليوم الآخر لكنه يظن أن الله هو الذي سيتولى الحساب وليس المسيح .

* يصور الجنة تصويرا حسيا ويعد أتباعه بالملذات والأطايب الحسية فيها (الأكل والشرب، أنهار العسل واللبن، الجواري الحسان والجمال الأبدي الدائم....) وبهذا سمم العقول وخدرها بهذه الوعود .

* جمع في تعاليمه بين إنكار الثالوث عند سابيليوس وإنكار ألوهية المسيح عند نسطور وإنكار موت المسيح على الصليب مثل المانيين.

* اتخذ لنفسه (18) زوجة في آن واحد إضافة إلى أنه كان يزني بزوجات الآخرين بأمر إلهي، ربما هذه إشارة إلى زواجه من زينب بنت جحش زوجة وليه زيد بن حارثة.

*بعد وفاته ساعدت الظروف المتدهورة للإمبراطورية الرومانية على صعود أتباع محمد واستيلائهم على الأراضي والممتلكات المسيحية في آسيا وإفريقيا، فقد وصلوا حتى إلى جنوب أوروبا وأينما حلوا نشروا تعاليم هرطقتهم كالمرض .

* هم ليسوا هراطقة بل أسوأ فهم وثنيون، فاشتراكهم معنا –المسيحيون – في بعض العقائد وقولهم أمورا جيدة وصحيحة عن المسيح والسيدة مريم لا يعني أنهم هراطقة فقط فهم ينكرون التعميد ولا يعترفون بالأفخريستيا ولا بالتكفير ولا يقومون بأية شعائر مسيحية .

* يعتبر الهرطقة الساراكانية المرحلة الثانية والمتوسطة في عمل الشيطان بعد هرطقة آريوس الليبي وبالتالي فالمرحلة التالية ستكون بالتأكيد ظهور المسيح الدجال، فهو لا يعتبر محمد هو ذاته المسيح الدجال بل خادما له مثل آريوس من قبل وهذا متأثر بكتابات هيلاري أسقف بواتييه عن الآريوسية .

* أسوأ شيء يميز الساراكانية أيضا إنكارها (عقيدة التجسد) وهذا معتقد معادٍ للبشرية ككل إذ بدون التجسد لن يعود البشر إلى أصلهم الإلهي ولن ينالوا الخلاص والعفو الإلهي من جديد، فابن الله المتجسد هو من يضمن المصالحة بين الله والبشرية وبالتالي الخلاص .

* يعتقدون أن المسيح شخص جيد ونبي مرسل من الله ولكن أتباعه وبعد وفاته رفعوه إلى منزلة الألوهة وقد ارتكبوا ذنبا عظيما بهذا الفعل، وهنا دعا المسلمين إلى قراءة كتابي (مدينة الله) و(انسجام كتّاب الأناجيل= إزائية الأناجيل) للقديس أوغسطين ليفهموا طبيعة المسيح وطبيعة عمله.

* يقر بأن الهرطقة الساراكانية أعقد وأدق من أن تكون من ابتداع البشر دون مساعدة الشيطان لهم، فهي تؤكد أن المسيح ليس إلها ولا ابن إله متجسد ولا مخلصا وبالتالي فلن يخلص الجنس البشري وسيبقى حبيس الخطيئة الأصلية إلى الأبد، وهذه رغبة الشيطان .

* يتساءل المبجل عن سبب سماح الله لهذه الهرطقة بالانتشار والتوسع في العالم .

* ينهي مختصره بالتذكير أنه إنما كتب هذه الخطوط العريضة للتعريف بمحمد وهرطقته علها تكون منارة لمن أراد الكتابة ضدهم .

* في الأخير يدعو إلى الكتابة ضد هؤلاء الهراطقة ويقول أنه قد وفر إلى جانب هذا المختصر ترجمات من العربية إلى اللاتينية بخصوص حياة وعقائد محمد، لتساعد من أراد التأليف ضدهم وأضاف أنه يفضل أن يقوم أحد ما بهذا العمل لأن مسؤولياته كرئيس لدير كلوني والأديرة التابعة له لا تسمح بذلك .

وكتاب (تفنيد هرطقة أو فرقة الساراكانيين Against the Sect of the Saracens)، اختلفت الآراء حول تاريخ كتابته بين رأيين ؛ الأول يرى أن الكتاب ألّف بين سنتي 1148 -1149م والثاني يرى أن ألّف في آخر حياة المبجل بين سنتي 1155-1156م في دير كلوني وكلها تدل انه كتب بعد العودة من إسبانيا بوقت طويل، كان بطرس المبجل قد كلف صديقه وغريمه برنارد رئيس دير كلارفو بكتابة هذا التفنيد ولأنه لم يجبه إلى طلبه قام به بنفسه، يضم الكتاب مقدمة شرح فيها المبجل لقرائه المسيحيين أسباب كتابته ضد الهرطقة الساراكانية وهدفه الأول هو زلزلة مكانة محمد عند أتباعه كنبي وصاحب قانون إلهي، وكتابين الأول والثاني حاول فيهما فعل هذا بالأدلة العقلية المتاحة لديه وأكد للمسلمين أن محمد ليس بنبي ولا رسول لله وإنما مدع للنبوة ليس لديه دليل على أقواله وأن القرآن ليس وحيا من الله وإنما هو توليفة بين كتب مسيحية أبوكريفية وقصص يهودية جمعها محمد وادعى أنه كتاب سماوي، وقد عمل في الكتاب الأول على تفنيد وحي القرآن الكريم وفي الكتاب الثاني على تفنيد نبوة محمد ﷺ [1] .

رسالة بطرس الذي من بواتييه إلى المبجل (Letter of Peter of Poitiers) والتي شجعه فيها على الكتابة ضد الساراكانيين كما فعل ضد الهراطقة من المسيحيين وكذا اليهود [2].

وأخيرا **رسالة وملخص (الخطوط العريضة) من بطرس الذي من بواتييه إلى بطرس المبجل (Peter of Poitiers 's Chapter Headings)** وهي مقدمة أو خطة عمل لكتاب (التفنيد) سنة 1155 م في دير كلوني، وهي تختلف عن الخطة التي أنجز بها المبجل كتابه (التفنيد) من حيث طول الكتاب واستراتيجيته الدفاعية ؛ إذ أن خطة بطرس الذي من بواتييه تضم (4) فصول أو كتب بينما العمل الذي بين أيدينا لا يضم سوى كتابين (2) كما أن الخطة الأولى تقوم على السير والروايات المنتشرة عن النبي محمد في البيئة الغربية والتي تتميز عموما بالإجحاف، بينما المبجل عدّل استراتيجيته لتبدو أكثر عقلانية وتناسب المتلقي الذي يقصده بعمله وهم بالتأكيد المسلمون لذا نجده أقل حدة وأكثر عقلانية و مرونة في خطابه وتفنيده [3] .

1 Cesare: p 146-147

2 The Fathers of the Church: V 37, p163-166

3 Ibid, p167-171

4. الدراسة التحليلية النقدية للمشروع ونتائجه :

في البداية يجب أن نعرف الأساس الذي كتب عليه المبجل ضد الإسلام، لأن تحديد هذا الأساس سيفسر الكثير؛ فالمبجل –من خلال رسائله وكتاباته- لم ير في الإسلام إلا هرطقة مسيحية خطيرة مساوية في خطورتها للآريوسية والنسطورية لأنها تستهدف عقيدة الثالوث القدوس برفضها التام لها وبالنظر إلى المسيح على أنه بشر نبي مرسل من الله الواحد الأحد وهذا المعتقد يدخل الإسلام في تصنيف (المضاد للثالوث **Anti-Trinitarianism**) فهدفه الأول كان الدفاع عن العقيدة المسيحية لذا فهو رجل دين مسيحي يكتب للمسيحيين، وقد سماها (الهرطقة الساراكانية أو الإسماعيلية) في كتاباته (**The Saracens or Ishmaelites Heresy**) وعاملها معاملة لاهوتية مثل الهرطقات المسيحية الأخرى، كان هذا التوجه واضحا في كتابه (المختصر**The Summary**) ولكننا نرى عدولا بسيطا عن هذا التزمت والصرامة والتحيز ضد الإسلام لاحقا في كتابه (التفنيد **The Refutation**)، كما أنه اعتبر الهرطقة الساراكانية(الإسلام) منبعا للكثير من الهرطقات خاصة خلال القرن 12م ؛ مثل الأسئلة التي كانت ترِده بخصوص مريم العذراء وبعض القائلين أن المسيح لم يصرح في الأناجيل أنه (الله) والرد على (Peter do Bruis) الذي طرح العديد من التساؤلات اللاهوتية التي رأى المبجل أن للعقائد الإسلامية تأثيرا ودورا فيها فهو كان يرى في الإسلام خطرا فكريا كبيرا لذا لابد من التعرف عليه، كما انه رأى أن عمله هذا سيعيد المسلمين إلى حظيرة المسيحية ؛ الدين الحق أو على الأقل حماية المسيحيين السذج من هذا الخطر، أما معلوماته عن النبي محمد ﷺ فهي مستهلكة وصور نمطية يُعاد إنتاجها كل حين، لقد ركز كثيرا على البحث والتدقيق في هوية ونسب تنشئة النبي محمد ﷺ، وكرر معلومات لا علاقة لها بالواقع مثل ادعائه النبوة بعد أن أصبح ملكا على العرب، فمصادر معلوماته عن النبي ودعوته لا جديد فيها، فقد اعتمد وباتفاق الباحثين على تاريخ ثيوفانوس المعترف من القرن 9م (Theophanus the Confessor) المترجَم إلى اللاتينية بواسطة أناستاسيوس المكتبي (Anastasius the Bibliander)، إضافة إلى كتابات اليهودي المتنصر بيدرو ألفونسي وكذا ترجمة رسالة الكندي (الدفاع) وغيرها من المصادر التي توفرت له في تلك الفترة، أي أنه لم يتجاوز التقليد الشرقي اليوناني المترجم في أقواله بخصوص الإسلام ونبيه وكذا القصص والروايات المنتشرة في بيئته الغربية وفي البيئة الإسبانية .

من المثير للاهتمام أيضا في كتابات المبجل عن الهرطقة الساراكانية هو مخاطبته المسالمة بل الودية للمسلمين في كتابه (التفنيد) والذي على عكس ما كان مسطرا ومخططا له من قبل في (المختصر) خالف المبجل الخطة المبدئية التي وضعها له سكرتيره (بطرس الذي بواتييه) وغير التوجه العام للكتاب لأن المتلقي والقارئ في هذه المرة هم المسلمون وليسوا المسيحيين ككتاباته السابقة ؛ فجِدة نبرته حين كلامه عن الإسلام والنبي محمد ﷺ قلت حين يوجه كلامه لتابعي محمد ﷺ، فهو يشفق عليهم ويعتبرهم ضالين تجب هدايتهم على طريقة المسيح في مخاطبة الخطأة والمذنبين، فكان يبين لهم وبأسلوب جدلي مميز كمية الخطأ

والتدليس في دعوة محمد الذي استطاع خداعهم، بل يعدهم بالخلاص ونيل الملكوت إن هم ارتدوا عن الإسلام واعتنقوا المسيحية وهذا الأسلوب ليس بالجديد، فإذا عدنا إلى يوحنا الدمشقي في القرن 8م نجده يتميز بذات الأسلوب، وإذا استقرأنا الحاضر نجده واضحا أيضا في قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني 1965م في مخاطبة المسلمين، فالتفريق بين الدعوة وصاحبها وبين تابعيه في الخطابات اللاهوتية واضح وجلي وقديم متجدد، وهذا يؤكد الكلام السابق عن اعتبار الإسلام مجرد هرطقة مسيحية لا دينا جديدا، تُعامل كما تُعامل الهرطقات منذ عصر الرسل والآباء المؤسسين لأنه ببساطة أمر متعلق بالعقيدة المسيحية ذاتها التي لا تعترف ولا تسمح بوجود رسالة أو دعوة بعد دعوة المسيح التي تجسد فيها الإله ذاته لخلاص البشر فكيف ستكون هناك محاولة أخرى بعدها، جاء في مستهل الجزء الأول من التفنيد مخاطبا العرب المسلمين: (بسم الآب والابن والروح القدس، من بطرس، رجل فرنسي بالجنسية، مسيحي الديانة، إلى العرب اولاد إسماعيل، الذين يحفظون قانون المدعو محمد، يبدو غريبا –و ربما هو كذلك- أن رجلا بعيد عنكم يتكلم لغة غير لغتكم ..أكتب لكم من مكان بعيد في الغرب إلى رجال يسكنون في أراضي الشرق والجنوب، ..أنا لا أحاربكم بالأسلحة –مثلما يفعل بعضنا- ولكن بالكلمات، وليس بالقوة ولكن بالعقل، ليس بالكراهية ولكن بالحب ..)

(In the Name of the Father and the Son and the Holy Spirit, a certain Peter, a Frenchman by Nationality, a Christian by faith, to the Arabs, the Sons of Ishmael, who observe the Law of the one who is called Muhammad, it seems strange, and perhaps is, that I, a man so very distant from you in location, speaking a different language ...write from the far part of the west to men who inhabit the lands of the East and the South ..I do not attack you by arms, as some of us often do, but by words, not by force but by reason, not in hatred but in love)...[1]

في هذا الجزء حاول المبجل تفنيد العقائد الإسلامية التي وضعها النبي المنتحل محمد، أما في الجزء الثاني فتوجه إلى تفنيد نبوة محمد ﷺ ذاتها بأن أنكر علاقته بالأنبياء المعروفين في التاريخين اليهودي والمسيحي، و أنه لم يجترح معجزة أو عملا أو حتى خبرا يدل على نبوته وعلاقته بالله والوحي وفي هذا الجزء أيضا بدأ خطابه بأسلوب منمق، فيه دعوة سلمية للتفكر والتعقل دون عنف أو مكابرة يقول :(الآن، أيها الإسماعيليون، بسبب الحزم والصرامة يجب عليكم الاستجابة للأحكام السابقة التي ذكرناها في ملخص دينكم، أعيدوا السيوف إلى أغمدتها، وضعوا الحجارة جانبا، وافتحوا آذانكم وإذا كان فيكم شيء من حكمة البشر، اسمعوا بعقولكم للأشياء التالية .)

1 The Fathers of the Church: Peter the Venerable, V 37, p 75

(Now, Ishmaelites, because firmness, should be applied to the statements that had to be presented earlier against a summary of your religion, restrain swords, lay aside stones, open ears and if anything at all of human wisdom exists in you, listen with intensive minds to the things that follow .) [1]

توقع المبجل أن لا تؤتي مجهوداته ثمارها في ظل الظروف التي كان يعيشها العالم المسيحي حينها، إذ مُنيت الجيوش الصليبية بالهزيمة تلو الهزيمة وفقدت المسيحية الكثير من مناطقها في الشرق، لذا كان من المستبعد جدا أن تلقى دعوة عقلانية كدعوة المبجل إلى مواجهة الإسلام فكريا بدل مواجهته عسكريا آذانا صاغية، ويجب أن نفهم أن دعوته هذه كانت لها جذورها العميقة في تعقل المسألة الإسلامية إذ رأى أن المواجهة العسكرية لن تنجح بسبب التفوق الكبير للجيوش الإسلامية وإيمانها القوي بدعوتها لذا دعا أولا إلى فهم هذه الدعوة ومصادرها وأساساتها لكي تسهل مواجهتها على الأقل بإبعاد تابعيها عنها، لذا فرغبته في تغيير طريقة المواجهة مع الإسلام ليست أبدا استنكارا أو رفضا للحملات العسكرية الصليبية لأنه ثبت بالوثائق أنه كان يشجع على القتال في جبهات أخرى (الملك هنري الثالث على السير إلى القدس)، وبالتالي فمشروعه لفهم ودراسة الإسلام لم يكن أبدا نقدا ورفضا للحملات العسكرية على أراضي الإسلام بقدر ما هو تغيير لاستراتيجيات المواجهة .

كما أن المبجل رأى نفسه مدافعا عن عقيدته ودينه في وجه الهرطقة الشرسة المسماة (الساراكانية أو الإسماعيلية) متشبها بالمسيح والآباء الأوائل الذين واجهوا الهرطقات بالكلمات بدل السلاح حتى وإن أيقنوا أنهم لا يستطيعون القضاء عليها في حينها إلا أنهم كتبوا وألفوا ضدها كتبا أصبحت لاحقا منارات في يد اللاهوتيين مثلما فعل أوغسطين الذي كتب ضد البيلاجية والدوناتية والمانوية، ومات وهي مازالت قائمة إلا أن الأجيال اللاحقة من المؤمنين استفادت من كتاباته وآرائه، وكذلك يرى المبجل نفسه، أن بتوفيره هذه الترسانة من الكتابات ضد الساراكانيين يمكن لخلفائه أن يستفيدوا منها في تنوير عقول المسيحيين وتسليح اللاهوتيين بسلاح المعرفة لمواجهتها كما قد يهدي بها الضالين من المسلمين أيضا، وهذا ما حدث بالفعل إذ حفزت كلمات المبجل بعض العقول الفذة التي رأت في التعرف على الإسلام وسيلة دفاعية قوية ضده، ومنهم الراهب الفرنسيسكاني روجر بيكون 1293م إذ دعا إلى تدريس اللغة العربية في الجامعات الأوروبية الكبرى ليسهل دراسة الإسلام ومواجهته، وبمساعدة صديق رايموندو لول (1232-1316م) تم عقد مجمع كنسي في فيينا سنة 1312م اعترفوا فيه بمبدأ التثقيف اللغوي للمبشرين حيث جاء في قانونه (11): (ينبغي تعيين رجال دين كاثوليك في كل جامعة من الجامعات الخمسة الكبرى وهي :باريس، أكسفورد، بولونيا، سلامنكا والجامعة البابوية معلمين لليونانية والعبرية والعربية والكلدانية) [2]،

1 Ibid, p 123

2 يوهان فوك: مرجع سابق، ص 97

ونجد أن الأستاذ الشرقاوي يرى أن بداية الاستشراق في شكله المنظم كانت بصدور هذا القرار [1]، لذا يمكن تلخيص غرض المبجل من مشروعه في ثلاثة نقاط كبرى، وهذه يمكن استخلاصها من كتاباته :

إزالة العجز في المعلومات وهذا يتم عن طريق ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية الذي يعتبره قانون الساراكانيين ودستور محمد الذي تركه لهم ليسيروا وفقه وهو سبب نجاحاتهم بشكل من الأشكال، إضافة إلى بعض الأحاديث وكذا بعض الردود التي يمكن الاستفادة مما تحويه من معلومات عن الإسلام أي أن هذا العنصر توفره (المجموعة الطليطلية) وهذا مذكور في عدة فقرات من الرسالة إلى برنارد منها في قوله: (من المناسب أن نملك ترسانة مسيحية ضد هذا الطاعون ..) .

(..It is fitting to have a Christian arsenal against this plague as well.)

أي أنه يشجع برنارد وغيره من اللاهوتيين على القيام بواجبهم تجاه المسيحيين من العامة وخاصة ضعاف الإيمان بتوفير العلم والمعرفة لهم علهم يتقون بها شر الدعوة الساراكانية خاصة وأن الكثير منهم قد أصابتهم العدوى وأسلموا وهذا ما درج عليه كبار اللاهوتيين من بعد وأهمهم مارتن لوثر.

أما أن هدفه الدفاع عن العقيدة المسيحية من خلال التشبه بالآباء فهذا مذكور في رسالته إلى برنارد رئيس دير كلارفو بخصوص الترجمة والتي قدم له فيها تبريرات وشروحا لأهدافه من المشروع، جاء في موسوعة الآباء الكاثوليكية من نص الرسالة: (كان في نيتي من خلال هذا المجهود –يقصد مشروعه- أن اتبع الآباء ..اخترت ان أقوم به ضد هرطقة الهرطقات كلها –يقصد الإسلام-)

(It was my intention in this effort to follow the practice of the fathers ...I have chosen to do so for this the chief error of errors, for this the dregs of all heresies.).

أما نقده للعمليات العسكرية أو المواجهة العسكرية فقد صادف أن توازت الدعوة إلى دراسة الإسلام وجمع المعلومات عنه لمواجهته فكريا مع ظروف قاسية تعانيها المملكة المسيحية الغربية حينها، إذ وبعد الانتصارات التي أحرزتها حرب الاسترجاع الأولى والتي انتهت باسترجاع القدس سنة1099م وبعض المدن الإسبانية الشمالية (طليطلة وإشبيلية) أيضا فازدادت رغبة وحماسة المسيحيين في خوض المزيد من هذه الحروب لدحر الجيوش الإسلامية واستعادة أراضيهم المفتوحة، ولكن الدفة خلال الحرب الثانية أصبحت في يد المسلمين الذين استعادوا ما فقدوه وفتحوا جبهات جديدة، مما جعل دعوة المبجل وفي ظل هذه الظروف تبدو أقرب إلى الجنون والخيانة منها إلى العقلانية وأحسن توصيف وجدناه عند سوذرن إذ يقول: " إن المحاولات الرامية إلى معالجة موضوعات صعبة عن طريق وضعها في سياق جديد لا تنجح دائما إن لم تسعدها الأحداث، وهكذا فالطابع العقلاني النبيل الذي أراد المبجل أن يضع النقاش فيه مع الإسلام سرعان ما اختفى من بعده إذ برزت أخطار جديدة أصبحت معها المسألة الإسلامية للمفكرين الأوروبيين

1 الشرقاوي محمد عبد الله: الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب الى الاسلام، ص34

في مرتبة ثانية "، وهو هنا يقصد التصعيد العسكري للجانب الإسلامي نهاية القرن 12م وطوال القرن 13م، بالإضافة إلى الاشتغال بالهرطقات والآراء الجديدة داخل الإطار المسيحي والتي كان الإسلام وبشكل من الأشكال سببا فيها .

5. خاتمة

بعد دراسة المشروع الإستشراقي لبطرس المبجل توصلنا إلى نتائج مهمة بخصوص التوجه المبكر للاهوتيين المسيحيين في الغرب اللاتيني للتشكيك في مصداقية الدعوة الإسلامية والنبوة الآخرة، وقد أشرنا إلى أنه توجه جديد من نوعه بعد أن تخلوا عن استعمال القوة والعنف ضد الإسلام ليتوجهوا إلى القوة الناعمة للاستشراق بالتحريف والتزييف ليجبروا تابعيه على التخلي عنه بكل قناعة وسلاسة ومن أهم ما توصل إليه بطرس المبجل واتخذ دستورا للاهوتيين والمستشرقين بعده:

- ليس هناك دعوة أو دين جديد بمسمى (الإسلام)، إذ لم يجد الباحثون ذكرا لهذا الاسم في مؤلفات القرون الوسطى على الإطلاق فقد كان اللاهوتيون – ومازالوا- يعتبرونه هرطقة مسيحية أو يهودية وغالبا ما يطلق عليها تسمية هرطقة الإسماعيليين (Ishmaelites Heresy) أو هرطقة الساراكانيين أو الساراسانيين (Saracens Heresy)، أما تسمية (المحمديين) ثم (الإسلام) فمتأخرة نوعا ما .
- عاد اللاهوتيون إلى الكتاب المقدس لمعرفة السلالة التي ينتمي إليها (المسلمون) لذا اعتبروهم مع اليهود أبناء سيدنا إسماعيل ابن سيدنا إبراهيم عليه السلام وزوجته السيدة هاجر فهم المطرودون إلى الصحراء أبناء هاجر الزوجة الثانية لسيدنا إبراهيم فهم (طريدو سارة أو عبيد سارة) حسب رواية سفر التكوين، وهذا التفسير الكتابي للمصطلح نجده قد استخدم في المصادر التأريخية المسيحية المبكرة مثل (تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصري) وهذا يدل على الجذور العميقة للمصطلح .
- اعتبر النبي الكريم محمد ﷺ نبيا منتحلا ذو حيلة واسعة مكنته من إعلاء شأن قومه الأذلاء بادعاء النبوة فيهم، أو أنه رجل دين مسيحي مطرود خطط لنشر دعوته الهدامة ضد المسيحية بتحليله الشهوات والعربدة مثله كمثل (نيقولاوس من القرن 2م) وقد تم له ذلك، وأنه هو وآريوس خدام المسيح الدجال والشيطان لتهديم دين الله الصحيح .
- أخذ النبي محمد ﷺ علمه بالديانات السابقة من مصادر يهودية ومسيحية خاطئة لهذا جاءت كل تعاليمه خاطئة مع أن كُتّاب المصادر في هذه الفترة (القرن 12م) كانوا لا يعرفون شيئا عن الإسلام فعليا ؛ إذ اعتمدوا في أقوالهم على ما ذُكر في المصادر البيزنطية المترجمة من اليونانية أي ما كتبه اللاهوتيون الشرقيون أو ما تناقله اللاهوتيون الإسبان .
- نبوءة محمد ﷺ لم يثبتها شيء فلم يقل أو يفعل شيئا يدل على نبوته وبالتالي فهو نبي منتحل لأن مفاهيم النبوة في الديانات الثلاثة التي تدعي الوحي يختلف بعضه عن بعض، كما أن لا احد من الأنبياء تنبأ وقال بمقدم هذا النبي .

➢ أهم مطاعنهم ضد العقيدة الإسلامية إنكارها لعقيدة الثالوث القدوس وإنكارها ألوهية المسيح بقولها أن المسيح عيسى بن مريم بشر نبي على غرار ما قالت به اليهودية والأبيونية والآريوسية والنسطورية، وإنكار الصلب أي لم يمت على الصليب بل شُبه لهم وهذه هي الشبهة المتداولة حاليا ولكن على العموم لا جديد عندهم فكل أقوالهم سبق وقالها آباءهم وسبق أن أشار إليها القرآن الكريم قبل أن يقولوها جميعا .

➢ القرآن الكريم ليس كتابا سماويا وإنما كتاب من تأليف وتجميع محمد على أساس كتب أبوكريفية يهودية ومسيحية سريانية بالإضافة إلى الوثنيات في بيئته ومثال هذا القول ما يتداوله اللاهوتيون المعاصرون والمستشرقين أيضا فمثلا نجد القديس (كلير تاسدال) في كتابه (ST .Clair Tisdal: the Original Sources of the Qur'an ,1905) والذي ترجم إلى العربية تحت عنوان (المصادر الأصلية للقرآن ترجمة عادل جاسم، منشورات الجمل سنة 2019)، وكذا كتاب اللاهوتي العربي جبريل سعيد: (Gabriel Said Reynold: The Qur'an in its historial context, 2008) وترجمته إلى العربية تحت عنوان (القرآن في محيطه التاريخي، ترجمة سعد الله السعدي، منشورات الجمل سنة 2012)، وهناك دراسات حديثة جدا لإثبات سريانية القرآن الكريم أهمها في القرن الحالي كتاب (كريستوفر لوكسمبورغ :قراءة سريانية آرامية للقرآن: مساهمة في تفسير لغة القرآن، دار الكتاب العربي برلين سنة 2000) ويمكن جمع أحدث النظريات الاستشراقية بخصوص القرآن الكريم في: الأولى أن القرآن الكريم ترجمة لفصول وتراتيل مسيحية سريانية، والثانية أن محمدا لم يهدف إلى إنشاء دين جديد بل كان ممثلا لإرسالية مسيحية في الجزيرة العربية ولكن مسار مهمته تغير حوالي القرن 9م .

6. قائمة المراجع:

1.5. المراجع باللغة العربية:

1. سوذرن ريتشارد (2006)، صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ترجمة: رضوان السيد، لبنان، دار المدار.
2. راسل برتراند (1983)، حكمة الغرب، ترجمة: فؤاد زكرياء، ج1، الكويت- سلسلة عالم المعرفة .
3. كارابل زاكري(2007)، أهل الكتاب التاريخ المنسي لعلاقة الإسلام بالغرب، ترجمة :أحمد أيبش، لبنان، دار الكتاب العربي .
4. عثمان أحمد (2013)، المنجز العربي الإسلامي في الترجمة وحوار الثقافات من بغداد إلى طليطلة، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
5. عمران محمود سعيد(1998)، حضارة أوروبا في العصور الوسطى، مصر، دار المعرفة الجامعية .
6. كانتور نورمان (1984)، التاريخ الوسيط، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ج1، مصر، دار المعارف .
7. العقيقي نجيب (1964)، المستشرقون، ج1، مصر، دار المعارف .

8. هاغمان لودفيغ (2004)، مسيحية ضد الإسلام حوار انتهى إلى الإخفاق، ترجمة :محمد جديد، سوريا، قدمس للنشر والتوزيع .
9. بدوي عبد الرحمان (1993)، موسوعة المستشرقين، لبنان، دار العلم للملايين .
10. فوك يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، ترجمة: عمر لطفي العالم، ليبيا، دار المدار الإسلامي .
11. الشرقاوي محمد عبد الله (2015)، الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب إلى الإسلام، مصر، دار البشير .
12. بن رية مليكة (2012 -2013)، رهبان وأديرة أوروبا الغربية من القرن 4م إلى نهاية العصور الوسطى، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر .

2.5. المراجع باللغة الإنجليزية:

13. The Fathers of the Church (1958): Saint John of Damascus; Writings (V37), Washington USA, the Catholic University of America Press.
14. H. Haskins(,1955) :the Renaissance of the Twelfth Century ,London, England :Harvard University Press
15. Kritzeck .J(1964) :Peter the Venerable and Islam, New jersey –USA, Princeton University Press
16. The Fathers of the Church(2016): Peter the Venerable ; Writings against the Saracens ,V37, the Catholic University of America Press,
17. Cesare .M.D(2012):The Pseudo-Historical Image of the Prophet Muhammad in Medieval Latin Literature, Walter de Grayer ,
18. Lawrence Bruce,2006: The Qur'an, A Biography
19. Tolan John (2008) :Sons of Ishmael: Muslims through European Eyes in the Middle Ages, University Press of Florida .
20. Quinn Frederick (2008): The Sum of all Heresies; the Image of Islam in Western thought, Oxford University Press.

Bibliography List

- The Fathers of the Church (1958): Saint John of Damascus; Writings (V37), Washington USA, the Catholic University of America Press.
- H. Haskins(,1955) :the Renaissance of the Twelfth Century ,London, England :Harvard University Press
- Kritzeck .J(1964) :Peter the Venerable and Islam, New jersey –USA, Princeton University Press
- The Fathers of the Church(2016): Peter the Venerable ; Writings against the Saracens ,V37, the Catholic University of America Press,
- Cesare .M.D(2012):The Pseudo-Historical Image of the Prophet Muhammad in Medieval Latin Literature, Walter de Grayer ,
- Lawrence Bruce,2006: The Qur'an, A Biography
- Tolan John (2008) :Sons of Ishmael: Muslims through European Eyes in the Middle Ages, University Press of Florida .
- Quinn Frederick (2008): The Sum of all Heresies; the Image of Islam in Western thought, Oxford University Press.

- R .W .Southern (2006): Western Views of Islam in the middle Ages, translated by: Radwan al-Saied, 2ed addition, Lebanon, Dar al- Madar al-Islami
- Russell Bertrand (1983): Wisdom of the West, translated by: Fouad Zakaria, V1, Kuwait, World of Knowledge Series.
- Karabell Zachary (2007): People of the Book; the Forgotten History of Islam and the West, translated by: Ahmed Ibish, Lebanon, Dar al-Kitab al-Arabi.
- Othman Ahmed (2013): Al-Monjaz al-Arabi al-Islami fi Tarjama wa Hiwar al-Thakafat min Baghdad ila Toledo, Egypt, General Egyptian Book Organization.
- Imran Mahmoud Saeed (1998): Hadhart Europa fi al-ossour al-, Egypt, Dar al-Maarif al-jameaia.
- Cantor Norman (1984): Medieval History, translated by: Qasim Abdu Qasim, V1, Egypt, Dar al-Maarif.
- Al-akiki Najib (1964): Al-Mostashrikoun, V1, Egypt, Dar al-Maarif.
- Hagman Ludwig (2004): Massihia Dhida al-Islam, translated by: Mohamed djadid, Syria, Qudmus.
- Badawi Abdurrahman (1993): Mawsuat al-Mostashrikoun, Lebanon, Dar al-Ilm lilmalayin.
- Vuk Johan (2001): The History of Orientalism Movement, translated by: Omar Lotfi al-aalim, Libye, Dar al-Islami.
- Al-sharkawi Abdullah (2015): Al-Istishrak wa tachkil nadhrat Al-gharb ila al-Islam, Egypt, Dar al-Bachir.
- Ben Raia Malika (2012-2013): Rohban wa Adyirat Europa al-Gharbia, Faculty of History, Algiers.